

سُوْرَةُ الْذَّارِيَاتِ



النَّزُولُ: مَكْيَةٌ.

الْمَقَاصِدُ:

- ١ - تقرير وقوع البعث.
- ٢ - إقامة البراهين في الآيات الكونية على وحدانية الخالق سبحانه.
- ٣ - الاعتبار من دمار الأمم المكذبة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالَّذِينَ ذَرُوا فَالْعِمَلَتِ وَقَرَا ﴾ ١ فَالْجَزِيلَتِ يُسْرًا ﴾ ٢ فَالْمَقْسِمَتِ أَمْرًا ﴾ ٣ إِنَّمَا تُوعَدُونَ
 لَصَادِقٌ ﴾ ٤ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفَعُ ﴾ ٥ وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكَ ﴾ ٦ إِنَّمَا لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴾ ٧ يُؤْفَكُ عَنْهُ مِنْ
 أُفَاكَ ﴾ ٨ فُلَلَ الْحَرَاصُونَ ﴾ ٩ الَّذِينَ هُمْ فِي عُمْرَةِ سَاهُونَ ﴾ ١٠ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴾ ١١ يَوْمَ هُمْ
 عَلَى الْمَارِ يُفْنَنُونَ ﴾ ١٢ ذُوقُوا فِنْتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْعَيْلُونَ ﴾ ١٣

التفسير:

٦ - ١ - يُقسِّمُ الله تعالى بأربع مخلوقات عظيمة، فبدأ قسمه بالرياح التي تهبُ مُحمَّلةً بالخيرات، أو الفاجعات بأمر الله تعالى، فالسُّحبُ الحاملات بالأمطار والبرد، فالسُّفنُ التي تجوب البحار بسهولة، فالملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه. إنَّ الذي تُوعَدونَ به - أيُّها العباد - من الحشر والنَّسْرِ لَوْعَدُ صدق، وإنَّ الجزاء على العمل لِكائنٍ مُحقَّ.

عن عبد الله بن الكوَاء الأعور منبني بكر بن وائل قال: يا أمير المؤمنين، ما ﴿ وَالَّذِينَ ذَرُوا ﴾؟ قال: الرياح، قال: فما ﴿ فَالْعِمَلَتِ وَقَرَا ﴾؟ قال: السحاب، قال: فما ﴿ فَالْجَزِيلَتِ يُسْرًا ﴾؟ قال: السفن، قال: فما ﴿ فَالْمَقْسِمَتِ أَمْرًا ﴾؟ قال: الملائكة، ولا تَعْدُ لمثل هذا، ولا تسأْلني عن مثل هذا، قال: فما ﴿ وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكَ ﴾؟ قال: ذات الخلق الحسن. (المختارة ١٢٢/٢ - ١٢٦)
 ، وأخرجه الحاكم من طريق أبي الطفيلي قال: رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٤٩٤، وأخرجه الحاكم من طريق أبي الطفيلي قال: رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
 قام على المنبر فقال: سلوني قبل ألا تسألوني، ولا تسألوا بعدِي مثلي فقام ابن الكوَاء... ذكر مختصراً... وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤٦٦/٢ - ٤٦٧)، وأخرجه

المقدسي من طريق أبي الطفيلي به (المختارة ٢/١٧٦ برقم ٥٥٦)، وصححه الحافظ ابن حجر (تغليق التعليق: ٤/١٤٩).

٧ - ٩ - وَقَسْمًا بِالسَّمَاوَاتِ زَيْنَةٌ وَخَلْقُ الْحَسْنِ، إِنَّكُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - لَفِي قُولٍ مُتَنَاقِضٍ فِي الْقُرْآنِ وَفِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَصْرِفُ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَالرَّسُولِ ﷺ مِنْ صِرْفِهِ الشَّيْطَانُ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِمَا.

١٠ - ١٤ - لُعْنَ الْكَذَّابِينَ عَلَى اللَّهِ الَّذِينَ هُمْ فِي أَعْمَاقِ الضَّلَالِ، غَارِقُونَ فِي الْغَفَلَةِ وَالْحِيرَةِ، إِذْ يَسْأَلُونَ بِسُخْرِيَّةٍ: مَتَى يَوْمُ الْحِسَابِ؟ يَوْمُ الْحِسَابِ يَدْخُلُونَ نَارَ جَهَنَّمَ، وَيُحْرَقُونَ بِهَا، وَيُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيَّخًا: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كَتَمْتُ بِهِ تَسْعِجَلُونَ هَازِئِينَ فِي الدُّنْيَا.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - ينظر: مخطط جريان الفلك، كما في الملحق.
- ٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- ٣ - القادر على خلق أمور بدعة قادر على تحقيق البعث الموعود.
- ٤ - أثبت العلماء وجود نسيج محكم في السماء، فأطلقوا عليه مصطلح (النسيج الكوني)، وكتبوا عنه فقالوا: (كيف حُبِّكتِ الخيوط في النسيج الكوني)، واستخدمو الكلمة (Weave) باللغة الإنكليزية، وهي تماماً تعني حبك.

(<http://quran-m.com/container2.php?fun=artview&id=969>)

- ٥ - الآية الكريمة: ﴿وَسَمَاءٌ ذاتٌ لُّحْبَكٌ﴾ إحدى معجزات القرآن العلمية، التي تشير إلى تَعَدُّدِ مجاميع الكواكب، وإلى الجاذبية.
- ٦ - إن أصل الكلمة الفتنة هو إذابة الجوهر؛ ليُظْهِرَ غِشَّهُ، ثم استعمل في التعذيب والإحرق.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتِ وَعِيُونٍ ﴾١٥﴿ أَخِذُونَ مَا أَنْهَمُ رَبِّهِمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾١٦﴾
 قَلِيلًا مَّنْ أَتَيَلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾١٨﴾ وَفِي أَنْوَاهِهِمْ حَقٌّ لِّلْسَابِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾١٩﴾
 وَفِي الْأَرْضِ إِيمَنٌ لِّلْمُوقَنِينَ ﴾٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ ﴾٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾٢٢﴾
 فَوْرَيْ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ إِنَّهُ لَحُقُّ مِثْلَ مَا أَتَكُمْ نَطِقُونَ ﴾٢٣﴾

التفسير:

١٩ - ١٥ - إنَّ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ بِالْاسْتِجَابَةِ لِأَحْكَامِهِ فِي جَنَّاتِ خَضْرَاءِ وَعِيُونِ مَاءٍ، حَائِزِينَ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ مَقَامٍ كَرِيمٍ. إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ فِي الدُّنْيَا مُحْسِنِينَ فِي أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَنَامُونَ إِلَّا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ قَبْلَ الْفَجْرِ، وَيَنْفَقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَقًّا لِّمَحْتَاجِينَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ وَالَّذِينَ يَتَعَفَّفُونَ.

٢٠ - ٢٢ - وَفِي الْأَرْضِ مَخْلُوقَاتٍ هِيَ دَلَائِلٌ وَاضْحَىَةٌ عَلَى قُدرَةِ خَالقِهَا لِلْمُوقَنِينَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ آيَاتٌ وَعِبَرٌ مِّنْ مِبْدَأِ خَلْقِكُمْ إِلَى مِنْتَهَاهُ، أَفَلَا تُبَصِّرُونَ قُدرَةَ اللَّهِ فِي خَلْقِكُمْ؟ وَفِي السَّمَاءِ أَسْبَابُ رِزْقِكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ مِنَ الرِّزْقِ وَالْجَزَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

٢٣ - وَقَسْمًا بَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، إِنَّمَا تُوعَدُونَ بِهِ مِنَ الرِّزْقِ وَالْبَعْثِ لَحُقُّ وَاقِعٌ، مِثْلُ نُطْقِكُمُ الَّذِي لَا تَشْكُونَ فِيهِ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - بيان ما للمتقين من نعيم مقيم في الدار الآخرة.
- ٢ - الجزاء من جنس العمل ، فكما أحسنوا فإنَّ الله تعالى سيحسن لهم الثواب.

٣ - استحباب قيام الليل ، وَذَمُّ نوْمِهِ كُلِّهِ .

٤ - أثبتت دراسات الأرض : أنَّ الْأَرْضَ مَبْنِيَةَ مِنْ عَدَةِ نُطُقٍ مُحدَّدةٍ حَوْلَ كُرْكَةٍ مَصْمَمَةٍ مِنَ الْحَدِيدِ وَالْنِّيْكَلِ ، تَعْرُفُ بِاسْمِ لُبِّ الْأَرْضِ الصَّلْبِ (الداخلي)، وَلِهَذَا الْلُبُّ الصَّلْبُ - كَمَا لِكُلِّ نَطَاقٍ مِنْ نُطُقِ الْأَرْضِ - دُورَهُ فِي جَعْلِ هَذَا الْكَوْكَبِ صَالِحًا لِلْعُمْرَانِ بِالْحَيَاةِ الْأَرْضِيَّةِ فِي جَمِيعِ صُورِهَا . وَأَنَّ لِلْأَرْضِ

مجالاً مغناطيسياً ثنائياً القطبية، له صلة وثيقة بلب الأرض الصلب، وحركة إطاره السائل من حوله، ويتولد المجال المغناطيسي للأرض من حركة المكونات فيها وفيه. (آيات الإعجاز العلمي: الأرض في القرآن الكريم للدكتور زغلول التجار، ص ٧٩ - ٩٨).

٥ - دعوة الله ﷺ عباده إلى التأمل والتفكر في خلق الإنسان وغيره من المخلوقات العظام، فكلّها عَبْرُ آيات، وشاهد ناطقة بقدرة الصانع ووحدانيته، وعظيم رحمته بهم.

٦ - قال الدكتور محمد جميل الحبال: «من أهم هذه الآيات الباهرات في الأنفس (الإنسان) التي توصل إليها العلم مؤخراً، ولا يزال يعمل لإكمال الكشف عن حقائقها هي: البصمة الوراثية، أو الخارطة الجينية (Genetic Map) وما يسمى أيضاً الجينوم البشري (Human Genome) التي هي أساس تكوينه، وتُشكّل جميع صفاته وخواصه ظاهراً وباطناً! وتَمَيِّزه ليس فقط عن جميع المخلوقات، وإنما أيضاً عن كل فرد من أفراد البشر، حيث إنَّه لكل واحد منهم خارطته الجينية الخاصة به!».

٧ - قال العلماء: يُفهَمُ رزق السماء في الأطر التالية:

أ - في إطار فهم السماء بنطاق التغيرات الجوية، فإنَّ رزق السماء هو المطر الذي نرتوي به، ونَرْوي زروعنا منه.

ب - في إطار تفسير السماء بالسماء الدنيا، فإنَّ رزق السماء هو كل صور المادة والطاقة المتولدة في داخل النجوم، من مثل سمسمنا التي تصل إلى الأرض بصور متعددة.

(<http://www.islamicmedicine.org/zaghlool/20.htm>)

٨ - البشري بضمان الرزق من الرزاق ﷺ، وفي السماء رزق العباد، فلا يُطلب إلا من الله تعالى.

﴿ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكَرَّمِينَ ﴾ ٢٤ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ
 ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ ٢٥ فَقَرَأَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُوكُ ﴾ ٢٦ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ
 خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَمٍ عَلَيْهِ ﴾ ٢٧ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ
 عَجُورٌ عَقِيمٌ ﴾ ٢٨ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ ٢٩ قَالَ فَإِنَّا حَطَبْكُمْ أَهْمَانَ
 الْمَرْسُولُونَ ﴾ ٣٠ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ مُّغْرِبِينَ ﴾ ٣١ لِتُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ ﴾ ٣٢ مُسَوَّمَةً عِنْدَ
 رَبِّكَ لِلْمُسَرِّفِينَ ﴾ ٣٣ فَأَخْرَجَنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٣٤ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ
 وَرَنَگَ كَا فِيهَا ءَايَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ ٣٥

التفسير:

٢٤ - ٢٥. هل أنتك - أيها الرسول - حديث ضيف إبراهيم من الملائكة الكرام؟ حين دخلوا عليه في بيته فحيوه بتحية الإسلام، فرد عليهم التحية قائلاً: سلام عليكم، أنتم قوم غرباء لا نعرفكم.

٣٠ - ٣١. فانسل إلى أهله خطفاً، فأخذ عجلًا سميناً فشواه، ثم قدمه متناططاً في دعوتهم إلى الطعام قائلاً: ألا تأكلون؟ فلما امتنعوا عن الأكل أحس في نفسه الخوف منهم، فعرفوا ذلك، وقالوا: لا تخاف منا، إننا رسول الله. وبشروه بولد يكون عالماً، فأقبلت زوجة إبراهيم نحوهم تصيح متعجبة حتى لطم وجهها وقالت: كيف ألدُ وأنا عجوز عقيم؟ فأجابت الملائكة: هكذا قال ربُك كما أخبرنا. إنه هو الحكيم في تدبير شؤون عباده، العليم بمصالحهم.

٣١ - ٣٧. قال إبراهيم ﷺ للملائكة: فما شأن مهتمكم أيها الملائكة المرسلون؟ فأجابوا: إننا أرسلنا الله إلى قوم اقترفوا جرائم كبيرة؛ لندمرهم بحجارة من طين متاجر، معلمة على المسرفين، بجريمة الفاحشة القبيحة، فأخرجنا منْ كان في البلدة من المؤمنين بنبي الله لوطن ﷺ، فما وجدنا فيها غير بيت لوط من المسلمين، فدمرناها، وتركنا فيها آثار الدمار؛ موعظة للذين يخالفون العذاب الموجع.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تقرير نبوة محمد ﷺ.
- ٢ - في ذكر الله تعالى لقصص الأنبياء السابقين تسلية للنبي ﷺ وتذكيره، فهم أسوة حسنة له.
- ٣ - مشروعيّة البدء في السلام، ووجوب الرد عليه.
- ٤ - من أدب المضيف أن يبادر بالضيافة.
- ٥ - بيان أنَّ من إكرام الضيف أن يُقدم له أكثر مما يأكل، وألا يوضع الطعام بموضع ويُدعى الضيف إليه.
- ٦ - جواز تشكُّل الملائكة بصورة رجال من البشر.
- ٧ - الخوف الفطري عند وجود أسبابه لا يقدح في العقيدة، ولا يُعد شركاً.
- ٨ - خَصَّ الله تعالى في قوله: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَمٍ عَلِيمٍ﴾ صفة العلم؛ لأنَّها الصفة التي يختص بها الإنسان الكامل، لا الصورة الجميلة والقوة، كما يعتقد بعضهم.
- ٩ - تقرير حقيقة علمية وهي: أنَّ كل مؤمن صادق الإيمان مُسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، حتى يحسن إسلامه وفق أركان الإيمان الستة.
- ١٠ - تشنيع جريمة اللّواط، وهو سبب من أسباب هلاك الأمم السابقة.

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ دِيْلَطَنِ مُؤْمِنٍ ﴿٢٨﴾ فَتَوَلَّ بِرْكَيْهِ وَقَالَ سَحْرٌ أَوْ بَجْنُونٌ ﴿٢٩﴾ فَأَخْذَنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذَنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ أَرِيَحَ الْعَقِيمَ ﴿٣١﴾ مَا نَذَرْ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالْمِيمِ ﴿٣٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّعُوا حَتَّى حَيْنِ ﴿٣٣﴾ فَعَتَّوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخْذَنَاهُمْ أَصْنَعَهُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَمَا أَسْتَطَعُوْمُ مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِيْنَ ﴿٣٥﴾ وَقَوْمٌ نُوحٌ مِنْ قَبْلِ إِنْهِمْ كَانُوا قَوْمًا فَنَسِيْنَ ﴿٣٦﴾﴾

التفسير:

- ٤٠ - وجعلنا في قصة موسى ﷺ موعظة حين أرسلناه إلى فرعون

بالحجج الدامغة، والمعجزات الساطعة، فتكبر فرعون مُغترًا بقوته، وأشاع عن موسى بأنه ساحر محترف أو مجنون مخرف، فأخذنا فرعون وجنوده إلى البحر فألقيناهم، وأغرقناهم فيه، وهو مُقرف ما يُلام عليه من الكبْر والكفر.

٤٢ - وموعظة ثالثة في قصة عاد وتکذیبهم لنبيهم هود عليه السلام، حين أرسلنا عليهم الريح العاتية التي تدمر كل شيء مررت عليه، فما ترك شيئاً إلا جعلته هالكاً مُنفتتاً.

٤٣ - وموعظة رابعة في قصة قوم ثمود، وتکذیبهم لبنيهم صالح عليه السلام، حين أنذرهم بأن يتمتعوا بالحياة إلى انتهاء آجالهم، فعصوا أمر الله، وعقرموا الناقة، فأخذتهم صاعقة العذاب المدمرة وهم ينظرون إليها، مما استطاعوا أن يفلتوا من العقاب، وما كانوا مُنتصرين لأنفسهم.

٤٤ - وأهللتنا قوم نوح عليه السلام من قبل هؤلاء فأغرقناهم. إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله تعالى.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تأكيد الله سبحانه عظيم معجزات موسى عليه السلام لبني إسرائيل.
- ٢ - الدلالة على عظيم شأن القدرة الربانية، ونهاية فرعون وقومه.
- ٣ - اتهام المبطلين لأهل الحق دفعاً للحق، ورفضاً له، يكاد يكون سُنة بشريّة في كل زمان ومكان.
- ٤ - قوة الله تعالى فوق كل قوة؛ إذ كل قوة في الأرض هو خالقها.
- ٥ - وجوبأخذ العظة والعبرة من قصص الأقوام السابقة.
- ٦ - من عوامل الهلاك العتُّ عن أمر الله، والخروج عن طاعته وطاعة رسle.

وَالسَّمَاءَ بَيْنَهَا يَأْيُدِهَا وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشَتْهَا فَنَعْمَ الْمَهْدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنَ لَعَلَّكُمْ نَذَرُكُونَ ﴿٤٩﴾ فَقَرُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا أَخْرَى إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَلِكَ مَا أَنَّى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مَنْ رَسُولِ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ بَحْرُونَ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنَّ يَمْلُوْرِ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرَ فِيَانَ الْذِكْرِي نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴿٥٦﴾ مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنْبُهُمْ مِثْلُ ذَنْبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَلَّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

التفسير:

٤٧ - ٤٩ - يُخبر الله تعالى عن قدرته العظيمة ونعمه الكريمة: والسماء بنيناها بقوّة وقدرة عظيمة. وإنّا لمُوسِعُونَ لأرجائهما ، والأرض جعلناها فراشاً للخلق ، فنَعْمَ الخالقون نحن ، وخلقنا من كُلِّ جنس من الأجناس صنفين مُختلفين؛ لتتذكّروا قدرة الله وعظمته في خلقه .

٥٠ - ٥١ - قل لهم أيّها الرسول: فالجّؤوا - أيّها العباد - إلى الله تعالى بالعبادة والصلوة. إنّي لكم منه نذير بكلّ بيان ووضوح ، ولا تَجْعَلُوا مع الله معبوداً آخر .

٥٢ - ٥٣ - مثل ما كذّب كفّار مَكَّةَ رسولهم محمداً ﷺ كذّبَتِ الأُمُّ السابقة ، فلم يأتِ رسول إلا واتهموه بالسحر أو الجنون ، فهل أوصى أولئهم آخرهم بالتكذيب؟ لم يُوصِ بعضهم بعضاً ، بل حملّهم الطغيان والتّكبير والإعراض عن اتباع الحقّ .

٥٤ - ٥٥ - فأعِرِضْ عنهم أيّها الرسول ، فلا لوم عليك ولا عتاب ، وواظِبْ على الموعظة بالقرآن ، فإنَّ الموعظة ينتفع بها المُصَدّقُونَ بالله تعالى .

٥٦ - ٥٨ - وما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي وحدي ، ما أريد منهم من رزق ، فأنا الغنيّ ، وما أريد أنْ يُطْعَمُونِي ، فأنا الرَّزَاقُ للخلق أجمعين ، ذو القوّة والقدرة ، الشديد .

٦٠ - يَتَوَعَّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْكُفَّارَ: فإنَّ للذين ظلموا أنفسهم بالكفر نصيباً من العقاب، مثل نصيب أصحابهم الذين سبقوهم بالكفر، فلا يستعجلون العذاب، فإنه واقع بهم قطعاً، فويل للذين كذبوا بالله من يوم القيمة الذي وعدهم بالعذاب فيه.

الفوائد والاستنباطات:

١ - تذكير الله ﷺ ببعض ما امتنَّ به على عباده من النعم، مما يستوجب عليهم عبادته وحده.

٢ - تقرير التوحيد والبعث بمظاهر القدرة الإلهية التي لا يعجزها شيء، ومظاهر العلم والحكمة المتجلية في كل شيء.

٣ - ظاهرة الزوجية في الكون في الذرَّة ابهر لها العقل، وهي مما سبق إليه القرآن الكريم وقررها في غير موضع منه: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلُّهَا مِمَّا تُبْتَعِثُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾. فدلل هذا على أن القرآن وحي الله، وأنَّ مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ.

٤ - تأكيد قاعدة الزوجية المطلقة في خلق كل شيء من الأحياء والجمادات، ومن أمثلة ذلك:

أ - الزوجية في الكائنات الحية من الإنسان والحيوان والنبات.

ب - الزوجية في الخلايا التناسلية الذكرية والأنثوية.

ج - الزوجية في النطفة الذكرية التي قد تحمل صبغي التذكير أو صبغي التأنيث.

د - الزوجية في الصبغيات في نواة الخلية الحية.

ه - الزوجية في حاملات الوراثة (المورثات أو الجينات) على كل صبغي من الصبغيات.

و - الزوجية في بناء الحمض النووي.

ز - الزوجية في الذرة بنواتها التي تحمل شحنة موجبة، وإلكتروناتها التي تحمل شحنة سالبة.

ح - الزوجية في الجسيمات الأولية، أي في الوجود والعدم. (مقالات الدكتور زغلول النجار في الأهرام، ص ٦١٥).

٥ - ثبت علمياً أنَّ دورات تَكُونُ القيارات، وتبادلها مع المحيطات، ودورات البناء والهدم على سطح القيارات تتكون من السهول الخصبة، والتربة الغنية، والصخور الرسوبيَّة المختلفة التي تحوي في أحشائِها الكثير من الخيرات الأرضية من مثل النفط، والغاز الطبيعي، والفحم، والمياه تحت السطحية، وركازات العديد من المعادن الاقتصادية التي يمكن أن تتكون أثناء عمليات التربُّب أو بواسطتها ، ولو لا ذلك كله ما أنبَتَت الأرض، ولا كانت صالحة للعمران ! . (آيات الإعجاز العلمي : الأرض في القرآن الكريم للدكتور زغلول النجار، ص ٣٠٣ - ٣١٨) .

٦ - أثبتت الأرصاد الفلكية حقيقة تَوْسُع الكون، وتباعد مجرَّاته عنا ، وتباعد بعضها عن بعض بمعدَّلات تقترب أحياناً من سرعة الضوء (المقدرة بنحو ثلاثة ألف كيلٍ في الثانية)، وقد أيدَت كل من المعادلات الرياضية وقوانين الفيزياء النظرية استنتاجات الفلكيين في ذلك . (آيات الإعجاز العلمي : السماء في القرآن الكريم للدكتور زغلول النجار، ١١١ - ١٢٠) . وينظر : صور توضيحية تمثل تمدد الكون ، وابتعاد المجرَّات عن بعضها البعض ، كما في الملحق .

٧ - الحث على الفرار إلى رحمة الله من عذاب الله ، وذلك بإخلاص العبادة له وحده دون سواه .

٨ - بيان إنكار الله تعالى اتفاق الكفار على تكذيبهم لرسلهم بوصفهم بالسحر أو الجنون ، والتعجب من حالهم .

٩ - الحث على التذكير والموعظة؛ لأنَّه يزيد المؤمن بصيرة وقوَّة .

١٠ - بيان الحكمة من خلق الإنسان والجَن .

١١ - تقديم ذِكرِ الجن على الإنسان في الآيات ، وذلك لتقدُّم خلقِهم على خلقِ الإنسان في الوجود .

١٢ - إثبات صفة الرزق والقدرة وشدة القوة لله تعالى .

- ١٣ - التحذير من استعجال العذاب، والاعتبار بمن سبق من الأمم السابقة.
- ١٤ - التهديد والوعيد للكفار من عذاب يوم القيمة.

